﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان: 51 - 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الآيتان متَّصلتان بمطالب المشركين

الآيتان متَّصلتان بقولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: 32]، فبعدَ أنْ بيَّنَ إبطالَ طَعْنِهم بقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: 32]؛ انتقلَ إلى تنظيرِ القرآنِ بالكتابِ الَّذي أوتيَهُ موسى عليه السلام، وكيفَ استأصلَ اللهُ مَنْ كذَّبوهُ، ثمَّ استطردَ بذكرِ أُمَمٍ كذَّبوا رُسُلَهم، ثمَّ انتقلَ إلى استهزاءِ المشركينَ بالنَّبيِّ ﷺ، وأشارَ إلى تحرُّجِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ إعراضِ قومِه عن دعوتِه بقولِه: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣﴾ [الفرقان: 43]، وتسلسلَ الكلامُ بضَرْبِ المَثَلِ بمدِّ الظِّلِّ وقَبْضِه، وبحالِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وبإرسالِ الرِّياحِ أمارةً على رحمةِ غَيْثِه الَّذي تحيا به المَواتُ، حتَّى انتهَى إلى قولِه: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾، ويُؤيِّدُ ما ذُكِرَ اشتمالُ التَّفريعِ على ضميرِ القرآنِ في قولِه تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَبَعَثۡنَا﴾: البعث: هو الإثارةُ للشَّيءِ[2]، بحيثُ يندفعُ ناهضًا أو مُبتعِدًا[3]، يقالُ: بَعَثْتُهُ، فانبعثَ، ويختلفُ البَعْثُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلِّقَ به، فبعثتُ البعيرَ: أثَرْتُهُ، وسيَّرتُهُ، وقولُه ﷻ: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36] معناهُ: يُقيمُهم للحَشْرِ[4]، ويومُ البَعْثِ: يومُ القيامةِ[5]، وقولُه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 51.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بعث).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بعث).
(4) الراغب، المفردات: (بعث).
(5) الخليل، العين: (بعث).

ﷻ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: 31]، أي: قيَّضَهُ، ويسَّرَهُ، وقولُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: 46]، أي: ذهابَهم، ومُضيَّهم(1)، وقولُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: 12]، أي: أيقَظْناهم، سُمّيَ إيقاظُهم بَعْثًا؛ تشبيهًا للنَّوم بالموتِ، وقولُهُ: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: 35]، أي: أرْسِلوا(2)، والمقصود بالآية أرسلنا رسولًا.

2) ﴿قَرۡيَةِ﴾: (قري) أصلٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ(3)، ومِنْ ذلكَ: القريةُ، وهي اسمٌ للموضعِ الَّذي يجتمعُ فيهِ النّاسُ، ويقالُ: قَرَيْتُ الماءَ في الحَوْضِ: جمعتُهُ(4).

3) ﴿نَّذِيرًا﴾: (نذر) كلمةٌ تدلُّ على تخويفٍ أو تخوُّفٍ مع نوعِ إعلامٍ، ومنهُ: الإنذارُ، وهو الإبلاغُ، ولا يكادُ يكونُ إلّا في التَّخويفِ، ويقالُ: تناذَروا، أي: خوَّفَ بعضُهم بعضًا(5)، والنَّذيرُ: المُنذِرُ، ويقعُ على كلِّ شيءٍ فيهِ إنذارٌ، إنسانًا كانَ أو غيرَهُ(6).

4) ﴿وَجَٰهِدۡهُم﴾: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطّاقةُ والمشقَّةُ، والاجتهادُ: أخذُ النَّفسِ ببذلِ الطّاقةِ وتحمُّلِ المشقَّةِ، والجهادُ والمجاهدةُ: استفراغُ الوُسْعِ في مدافعةِ العدوِّ(7)، والمقصود بالآية بذْلُ الجهد والطاقة في الدَّعوة إلى القرآن.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مجاهدةُ الكافرينَ أبلغُ الجهادِ

ولو شِئْنا - أيُّها النبي - لأرسَلْنا في كلِّ مِصر ومدينة نذيرًا يُنذِرُهم بأسَنا، فيَخِفُّ عنكَ كثيرٌ مِنْ أعباءِ ما حمَّلْناكَ منهُ،

(1) الراغب، المفردات: (بعث).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (بعث).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرى)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (قري).
(4) الراغب، المفردات: (قري)، والسمين، عمدة الحفاظ: (قري).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(6) الراغب، المفردات: (نذر).
(7) الراغب، المفردات: (جهد)، والسمين، عمدة الحفاظ: (جهد).

ويسقطُ عنكَ بذلكَ مُؤنةٌ عظيمةٌ، ولكنّا حمَّلْناكَ ثِقَلَ نِذارةِ جميعِ القُرى؛ لتستوجبَ بصبرِكَ عليهِ ما أعدَّ اللّهُ لكَ مِنَ الكرامةِ عندَهُ، فلا تُطِعِ الكافرينَ فيما يدعونَكَ إليهِ مِنْ أنْ تَعْبُدَ آلهتَهم، وجاهِدْهم بهذا القرآنِ أو بتركِ طاعتِهم جهادًا كبيرًا؛ حتَّى ينقادوا، ويُذْعِنوا لِما تدعوهم إليهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاعتراضِ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾:

شحْذُ همَّةِ النبي ﷺ للجهاد

جملةُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ اعتراضٌ بينَ ذِكرِ دلائلِ تفرُّدِ اللّهِ بالخَلْقِ، وذِكرِ منَّتِهِ على الخَلْقِ من جهةٍ[2]، والنَّهي عن طاعة الكافرين والأمر بمجاهدتهم من جهةٍ أخرى؛ لنشحذَ همَّتَهُ في الامتثال للنَّهي والأمر.

دلالةُ الشرط بـ (لو) في قولِهِ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾:

عظمُ منزلة النبيِّ ﷺ وفضله

(لو) حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ، أي: امتناع الجوابِ لامتناعِ الشَّرطِ، أي: امتنعَ أنْ يجعلَ اللّهُ تعالى في كلِّ قريةٍ نذيرًا؛ لامتناعِ مشيئتِهِ سبحانَهُ ذلكَ؛ ليكون إنذارُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ عامًّا للنّاسِ أجمعينَ[3]؛ لحكمة بالغة، وليثقل الحملُ المُلقى على عاتقه في تبليغ الرِّسالة، المفضي إلى زيادة فضل النبي ﷺ ومنزلته.

نكتةُ الإسنادِ إلى نونِ العظَمةِ في: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾:

تعظيمُ شأنِ المشيئةِ والبَعْثِ

أُسنِدَ فِعْلا المشيئةِ والبَعْثِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ إلى نونِ العظَمةِ؛ تعظيمًا للمشيئةِ والبَعْثِ، فمشيئةُ بَعْثِ نذيرٍ في كلِّ قريةٍ وإنفاذُ هذهِ المشيئةِ أمرانِ جليلانِ عظيمانِ، لا يَصْدُرانِ إلّا مِنْ ذي العظَمةِ والجلالِ والقُدرةِ التّامَّةِ سبحانَهُ،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 280.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 51.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5296.

والمعنى: ولو شِئْنا؛ لَبَعَثْنا بما لنا مِنَ العظَمةِ ونُفوذِ الكلمةِ في كلِّ قريةٍ نذيرًا[1].

بلاغةُ الإيجازِ بحذفِ مفعولِ المشيئةِ في: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾:

في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ إيجازٌ بالحذفِ؛ وذلكَ بحذفِ مفعولِ المشيئةِ على القاعدةِ المستمرَّةِ في مِثلِ هذا التَّركيبِ، والتَّقديرُ: (ولو شِئْنا بَعْثَ نذيرٍ في كلِّ قريةٍ؛ لَبَعَثْنا في كلِّ قريةٍ نذيرًا).

بـعـثُ الـرُّسـلِ والأنـبـيـاء من مـشـيـئـة الـلـه تعالى

بلاغةُ اللّامِ في قولِهِ ﷻ: ﴿لَبَعَثْنَا﴾:

لامُ ﴿لَبَعَثْنَا﴾ في قولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ هي اللّامُ الرابطة لجوابِ أداةِ الشَّرطِ (لو)، وهي تفيد تقوية ترتُّب الجواب على الشرط وتوكيده، أي: إنَّ انتفاء بعْثِ نذيرٍ في كلِّ قريةٍ أمرٌ مؤكَّدٌ، لا شكَّ فيه؛ لانتفاء مشيئة اللّه ذلك، كما تفيد تعليلَ انتفاء الجواب بانتفاء الشرط.

تـقـويـةُ تـرتُّـب الـجـواب على الشرط

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾:

(لو) للشَّرطِ في الماضي، أي: لتعليقِ حصولِ مضمونِ الجزاءِ بحصولِ مضمونِ الشَّرطِ فرْضًا في الماضي، معَ القطعِ بانتفاءِ الشَّرطِ، ولذلكَ يلزمُ في جملتَيْها المُضيُّ وعدمُ الثُّبوت[2]، ولذلكَ عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ عزَّ سُلطانُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾.

تـأكـيـدُ انـتـفـاءِ إرسـال أكـثـر من رسول مع النَّبيِّ

دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿فِي﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ للظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، فالقُرى هي مكانُ البَعْثِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ رسولٍ يكون وسط قومه، ويعيش بينهم.

النَّـذيـرُ يعيشُ وسـط أهـل الـقـريـة الـتـي ينذرها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 405.

(2) التفتازاني، المختصر: 281 - 284.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿كُلّ﴾:

عُبِّرَ بلفظِ الشُّمولِ ﴿كُلّ﴾ في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لإفادةِ عُمومِ البَعْثِ لكلِّ قريةٍ من القُرى.

سرُّ تنكيرِ قولِهِ تعالى: ﴿قَرْيَةٍ﴾:

التَّنكيرُ للإفرادِ المفضي للعموم

نُكِّرَ لفظُ ﴿قَرْيَةٍ﴾ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ للإفرادِ، وهو يُفيدُ معَ لفظِ ﴿كُلّ﴾ الدّاخلِ عليهِ العُمومَ، أي: في كلِّ فردٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالقريةِ.

وجهُ الاقتصارِ على وصفِ النَّذيرِ:

المبعوث يجمعُ بينَ صفتَي النِّذارةِ والبِشارةِ

اقتُصِرَ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ على ذكرِ وصفِ النِّذارةِ، معَ أنَّ المبعوثَ يجمعُ بينَ صفتَي النِّذارةِ والبِشارةِ؛ لأنَّ السّياقَ فيهِ ذكرُ كفرِ الكافرينَ، وذلكَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، وقولِهِ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، والنِّذارةُ بالكفّارِ أليَقُ، وفيه دلالةُ الإيجازِ لدلالته على كلامٍ كثيرٍ، أي: لبعثنا في كلِّ قريةٍ رسولًا يُنذر الناس، ويخوِّفهم.

سرُّ التَّنكيرِ في قوله: ﴿نَّذِيرًا﴾:

بعثْنا في كلِّ قريةٍ نذيرًا عظيمًا قويًّا

تنكيرُ ﴿نَّذِيرًا﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ للإفرادِ، والمعنى: ولو شِئْنا؛ لَبَعَثْنا في كلِّ قريةٍ فردًا مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالنَّذيرِ، أو للتعظيم، أي: لبعثنا في كلِّ قرية نذيرًا عظيمًا قويًّا.

دلالةُ الفاءِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

تفريعُ الحُكمِ على الخبر

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ للتَّفريعِ، وقد اختُلِفَ في وجهِ التَّفريعِ: فقيلَ: ترتيبُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ على ما قبلَهُ؛ باعتبارِ أنَّ قَصْرَ الرِّسالةِ على النَّبيِّ ﷺ نعمةٌ جليلةٌ ينبغي شكرُها، وما ذُكِرَ نوعٌ مِنَ الشُّكرِ، فكأنَّهُ قيلَ: بعَثْناكَ نذيرًا لجميعِ القُرى، وفضَّلْناكَ، وعظَّمناكَ، ولم

نبعثْ في كلِّ قريةٍ نذيرًا، فقابِلْ ذلكَ بالثَّباتِ والاجتهادِ في الدَّعوةِ وإظهارِ الحقِّ[1].

وقيلَ: تفريعٌ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ على جملةِ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾؛ لأنَّها تتضمَّنُ أنَّهُ مُرسَلٌ إلى المشركينَ مِنْ أهلِ مكَّةَ، وهم يطلبونَ منهُ الكفَّ عن دعوتِهم وعن تنقُّصِ أصنامِهم[2]، فتفرَّع عن ذلك نهيُهُ ﷺ عن طاعتهم.

أو هو تفريعٌ على كلام محذوفٍ يدلُّ عليهِ ما ذُكِرَ، والتَّقديرُ: (ولكنّا أفرَدْناكَ بالنِّذارةِ، فلا تُطِعِ الكافرينَ)[3]، وبناءً على ذلكَ تكونُ الفاءُ مُفرَّعةً على محذوفٍ، لا على الآيةِ السّابقةِ.

غرضُ النَّهي في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

الاجتهادُ في التَّبليغ والجهاد بالقرآن

قولُهُ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناهُ: فلا تُطِعِ الكافرينَ فيما يريدونَكَ عليهِ، والكلامُ تهييجٌ لهُ ﷺ وللمؤمنينَ[4]، أي: تحريكٌ لغَيْرتِهِ، وإلّا فإطاعتُهُ لهُم غيرُ مُتصوَّرةٍ حتَّى يُنهَى عنها، وإذا خوطِبَ بشيءٍ؛ فأُمَّتُهُ مخاطَبةٌ بهِ[5].

بلاغةُ العُمومِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾:

عُمومُ التَّحذيرِ مِنْ أدنى طاعةٍ للمشركين

النَّهيُ في قولِ اللهِ تعالى شأنُهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ مُستعمَلٌ في التَّحذيرِ والتَّذكيرِ، وفعلُ ﴿تُطِعِ﴾ في سياقِ النَّهيِ يُفيدُ عُمومَ التَّحذيرِ مِنْ أدنى طاعةٍ[6]، لأنَّ الفعلَ في قوَّةِ النَّكرة، فكأنَّه نكرةٌ في سياقِ النَّهي، فكان نصًّا في العموم، وهذا يدلُّ على فضل نبيِّه ﷺ وعظيم منزلته، فكيف لمن في هذه الدَّرجة والمنزلة أن يطيعَ من هم دونه في الفضل والمنزلة وغير ذلك.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 32.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 53.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 214.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 127.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 430.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 53.

دلالةُ التعريف بـ (أل) في قوله: ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ عامٌّ لكلِّ الكفّارِ، ويدخلُ فيهم كفّارُ قريشٍ دخولًا أوَّليًّا، فالمعنى: لا تُطِعْ كلَّ الكفار لا سيَّما كفّارَ قريشٍ؛ فإنَّهم كانوا رَغِبوا إليه ﷺ أنْ يرجعَ إلى دينِ آبائِهم، ويُملِّكونَهُ عليهم، ويجمعونَ لهُ مالًا عظيمًا، فنهاهُ تعالى عن طاعتِهم حتَّى يظهرَ لهُم أنَّهُ لا رغبةَ لهُ في شيءٍ مِنْ ذلكَ، بل رغبتُهُ في الدُّعاءِ إلى اللهِ والإيمانِ بهِ[1].

النَّهي عن طاعة الكافرين والاستماع لطلباتهم

علَّةُ التصريح بالاسمِ الظّاهرِ: ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

ذُكِرَ الكافرونَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالاسمِ الظّاهرِ؛ لبيانِ أنَّ طاعتَهم طاعةٌ للكفرِ، فكأنَّ ذلكَ تأكيدٌ للنَّهيِ ببيانِ سببِهِ[2]، كأنَّهُ قيلَ: فلا تُطِعْهم؛ لأنَّهم كافرونَ.

التَّنبيهُ على علَّةِ النَّهي عنِ الإطاعةِ

سرُّ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾:

عطف النَّظمُ الكريم جملة: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ على جملةِ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ووجهُ العطفِ: أنَّهُ بعدَ أنْ حذَّرَهُ مِنَ الوَهَنِ في الدَّعوةِ؛ أمرَهُ بالحرصِ عليها والمبالغةِ فيها[3]، فكلٌّ من جملتَي الأمرِ والنَّهي واجبةُ الامتثالِ.

التشريكُ في الحكم بين الأمر والنهي

دلالةُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم﴾، والمراد به:

الأمرُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا صارفَ عنهُ هنا.

الأمرُ بذلِ الجُهدِ في الأداءِ والدُّعاءِ

واختُلِفَ في المرادِ بالجهادِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾: فقيل هو بذلُ الجُهدِ في الأداءِ والدُّعاءِ، أو قتال الكفار وجهادهم بالسلاح، ويحتمل أن يكون المرادُ كليهما، والأقربُ الأوَّلُ؛ لأنَّ السّورةَ مكّيَّةٌ، والأمرُ بالقتالِ وردَ بعدَ الهجرةِ بزمنٍ[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 117.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5297.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 53.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 474.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجهادِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم﴾:

التَّعبيرُ بالاسمِ الجامعِ لمُنتهَى الطّاقةِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ فيهِ أمرٌ بالحرصِ على الدَّعوةِ والمبالغةِ فيها بعدَ التَّحذيرِ مِنَ الوَهَنِ فيها، وعُبِّرَ عن ذلكَ بالجهادِ؛ لأنَّهُ الاسمُ الجامعُ لمُنتهَى الطّاقةِ[1]، فيكونُ أنسبَ بمقامِ المصابرةِ والحرصِ على استمرارِ الدَّعوةِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المفاعلةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم﴾:

الدَّلالةُ على مقابلةِ مجهودِ الكفارِ بمجهودِ الداعي

قولُهُ تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ أمرٌ بليغٌ بالحرصِ على الدَّعوةِ، وصيغةُ المفاعلةِ تُفيدُ مقابلةَ مجهودِهم بمجهودِهِ، فلا يَهِنُ، ولا يَضْعُفُ[2]، وفيه إشارة إلى أنَّ الكفار يبذلون جهدهم في محاربة الإسلام، فلا ينبغي أن يكون أقلَّ منهم في الدفاع عنه.

مرجعُ الضَّميرِ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿بِهِۦ﴾:

الضَّميرُ للقرآنِ أو لتركِ الطّاعةِ

ضميرُ ﴿بِهِۦ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ للقرآنِ أو لتركِ الطّاعةِ الَّذي يدلُّ عليهِ قولُهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، والمرادُ: أنَّ الكفّارَ يجتهدونَ في توهينِ أمرِكَ، فقابِلْهم مِنْ جِدِّكَ واجتهادِكَ بما تغلبُهم بهِ.

ويجوزُ أنْ يرجعَ الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ إلى ما دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾ مِنْ كونِهِ نذيرَ كافَّةِ القُرى؛ لأنَّهُ لو بُعِثَ في كلِّ قريةٍ نذيرٌ؛ لوجبَ على كلِّ نذيرٍ مجاهدةُ قريتِهِ، فاجتمعَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ تلكَ المُجاهَداتُ كلُّها، فعَظُمَ جهادُهُ مِنْ أجلِ ذلكَ[3].

بلاغةُ الباءِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿بِهِۦ﴾:

تعدُّد معاني الباء لاختلاف مرجع الضَّمير

قولُهُ جلَّ وتباركَ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾، معناهُ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 53.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 53.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 286.

وجاهِدْهم بالقرآنِ أو بتركِ طاعتِهم، والمعنى: أنَّهم يجتهدونَ في إبطالِ حقِّكَ، فقابِلْهم بالاجتهادِ في مخالفتِهم جهادًا كبيرًا[1].

والباءُ للاستعانةِ على القولِ برجوعِ الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾ إلى القرآنِ، وللملابَسةِ على القولِ برجوعِهِ إلى التَّركِ[2].

وجوِّزَ أنْ يرجعَ الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ إلى ما دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾، مِنْ كونِهِ نذيرَ كافَّةِ القُرى؛ لأنَّهُ لو بُعِثَ في كلِّ قريةٍ نذيرٌ؛ لوجبَ على كلِّ نذيرٍ مجاهدةُ قريتِهِ، فاجتمعَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ تلكَ المُجاهَداتُ كلُّها، فعَظُمَ جهادُهُ مِنْ أجلِ ذلكَ، والمعنى: وجاهِدْهم بسببِ كونِكَ نذيرَ كافَّةِ القُرى جهادًا كبيرًا جامعًا لكلِّ مجاهدةٍ[3]، وعلى هذا تكونُ الباءُ للسَّببيَّةِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ المُطلَقِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿جِهَادًا﴾:

توكيدُ المجاهدةِ والمبالغةُ فيها

يدلُّ التَّعبيرُ بالمفعولِ المُطلَقِ في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ على تأكيدِ طلبِ المُجاهَدةِ منهُ ﷺ، والمبالغةِ فيها بحيثُ تكونُ في مقابلةِ اجتهادِ الكافرينَ في كفرِهم وباطلِهم.

يضافُ إلى ذلكَ التَّوصُّلُ بذكرِ المفعولِ المُطلَقِ إلى وصفِهِ بقولِهِ تعالى: ﴿كَبِيرًا﴾ الَّذي تترتَّبُ عليهِ ملاءمةُ فاصلةِ الآيةِ لما قبلَها.

سرُّ وصفِ الجهادِ بكونِهِ كبيرًا:

كثرةُ مَشاقِّ الجهادِ

جُعِلَ الجهادُ كبيرًا في قولِهِ تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ لِما يُحتمَلُ فيهِ مِنَ المَشاقِّ العِظام، ويجوزُ أنْ يرجعَ الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ إلى ما دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾، مِنْ كونِهِ نذيرَ كافَّةِ القُرى؛ لأنَّهُ لو بُعِثَ في كلِّ قريةٍ نذيرٌ؛ لوجبَ على كلِّ نذيرٍ مجاهدةُ قريتِهِ، فاجتمعَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ تلكَ المُجاهَداتُ كلُّها،

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 127 - 128.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 126.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 286.

فعَظُمَ جهادُهُ مِنْ أجلِ ذلكَ، والمعنى: وجاهِدْهم بسببِ كونِكَ نذيرَ كافَّةِ القُرى جهادًا كبيرًا جامعًا لكلِّ مجاهدةٍ[1].

وقيلَ: جُعِلَ الجِهادُ كبيرًا؛ لأنَّ مجاهدةَ السُّفَهاءِ بالحُجَجِ أكبرُ مِنْ مجاهدةِ الأعداءِ بالسَّيفِ، أو لأنَّ مخالفتَهم ومعاداتَهم كانَتْ فيما بينَ أظهُرِهم معَ عُتوِّهم وظُهورِهم[2].

يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في التَّعبيرِ بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿كَبِيرًا﴾ رعايةَ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها[3].

بلاغةُ تنكيرِ قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾:

نُكِّرَ قولُهُ تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ لتفخيمِ شأنِ الجهادِ وتهويلِهِ؛ فإنَّ دعوةَ كلِّ العالَمينَ على الوجهِ المذكورِ جهادٌ كبيرٌ، لا يُقادَرُ قَدْرُهُ كمًّا وكَيْفًا[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطّاعةُ والإجابةُ:

فُرِّقَ بينَ الطّاعةِ والاجابةِ: بأنَّ الطّاعةَ: موافقةُ الإرادةِ الحادثةِ إلى الفعلِ برغبتِهِ أو رهبتِهِ، والاجابةَ: موافقةُ الدّاعي إلى الفعلِ مِنْ أجلِ أنَّهُ دعا بهِ، ولذلكَ يقالُ: أجابَ اللّهُ فلانًا، ولا يقالُ: أطاعَهُ[5].

الطّاعةُ: موافقةُ الإرادةِ الحادثةِ إلى الفعلِ، والإجابةُ: موافقةُ الدّاعي إلى الفعلِ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 286.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 128.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 126.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 225، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 32.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 334.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»